المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعِين.

المتن:

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصلٌ: في بيان الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ وَلَمْ ** يُشارِكِ اللهَ في تَخْليْقِنا أَحَدُ
تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصِدُهُ ** لِدَفْعِ شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ
وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ ** رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فِيْهِ تَعْتَقِدُ
مَثْلَ الأُلى بِدُعَا الأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا ** يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا
وَكَمْ نُذُوْرًا وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا ** ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا
وَكَم قِبَابًا عَلِيْهَا زُخْرِفَتْ وَلَهَا ** أَغْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ
فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ في دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ** كَمَا لَهَا في قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا
وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْ ** نَ اللهِ جَهْرًا وَلِلتّوحِيْدِ قَدْ جَحَدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ** شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ** وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ

الشرح:

قال الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: فصلٌ (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ فهذا حدُّ الشِّرْك وضابطه، الشِّرْك جَعْلُ ندٍّ للإله، والنِّدُّ هو: المساوِ والمماثل والنظير، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٢]؛ أي: شركاء، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٢].

قال: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ أي: جعْلُك مساويًا وشريكًا ونديدًا للإله، والشِّرْك: التسوية، قد قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة الشعراء، الآيتان:٩٧-٩٨]؛ فالشِّرْك بالله هو: تسوية غير الله به، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**).

(**وَلَمْ يُشارِكِ اللهَ فِي تَخْلِيْقِنَا أَحَدُ**)؛ أي: أنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تفرَّد بالخَلْق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير لا شريك له؛ فوَجَبَ أن يُفرَد بالعبادة وحده لا نِدَّ له، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢١]؛ أي: أخلِصوا العبادة والتوحيد للذي تفرَّد بالربوبية والخَلْق، لم يُشاركه أحد.

قوله: (**تَدْعُوْهُ**) إلى آخره؛ هو بمثابة التوضيح لقوله: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ ندًّا له أي: في الدعاء، أو الرجاء، أو الخشية، أو أن يُقصَد في دَفْع الشر أو جَلْب الخير؛ هذا كلُّه شِرْكٌ بالله.

فالشِّرْك: اتِّخاذُ ندٍّ مع الله يُدعَى، ويُرجَى، ويُذبَح له ويُنذَر، ويُخضَع له ويُذلُّ، وتُصرَف له العبادة؛ هذا هو الشِّرْك.

قال: (**تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصِدُهُ ... لِدَفْعِ شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ**): (**تَرْتَفِدُ**)؛ أي: تطلب، فالشِّرْك هذا هو معناه.

وأيضًا من الشِّرْك قوله في البيت الثالث: (**وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ... رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فيْهِ تَعْتَقِدُ**):

أي: ومن الشِّرْك أن يعتقد الإنسان في مخلوقٍ من المخلوقات عِلمه بالعباد، وسَمْعه الدعاء، وقُدرته وسُلطانه، ونحو ذلك من خصائص الله.

البيت الذي قبله الذي صدره (**تَدْعُوْهُ**)؛ هذا شِرْكٌ في حقوق الله.

والبيت الذي يليه وهو المُصدَّر بقوله: (**وَعِلْمُهُ بِكَ**)؛ هذا شِرْكٌ في خصائص الله.

الأول: شِركٌ في حقوقه على عباده، وهي:

- الدعاء والرجاء والخشية.
- وأن يُقصَد وحده في جَلْب النَّعماء ودَفْع الضُّرِّ والبلاء.

ونحو ذلك من أنواع العبادة.

والبيت الثاني: شِرْكٌ في خصائص الله:

- مثل: العِلم بالقلوب.
- ومثل: سَمعه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الدَّاعِين.
- وقدرته جَلَّوَعَلَا على كل شيء.
- وسُلطانه وقهره للمخلوقات.

فمَن جَعَلَ هذه الخصائص أو شيئًا منها لغير الله فقد أشرك بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثم ضَرَبَ مثالًا قال: (مَثَلَ الأُلى)؛ أي: مثل الذين بدعاء الأموات (قَدْ هَتَفُوا)؛ مثل الذين هتفوا بدعاء الأموات.

(**هَتَفُوا**)؛ أي: عجُّوا ورفعوا أصواتهم بدعاء الأموات، يدعون الأموات.

(**يَرْجُوْنَ**)؛ أي: من الأموات، (**نَجْدَتَهُمْ**)؛ أي: إغاثتهم، وكَشْف ضُرِّهم، وإغاثة لهفتهم، وقضاء حاجتهم.

(**يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا**)؛ أي: من بعد أن دُفِنَ الأموات في قبورهم، فيأتون إلى الميِّت في قبره بعد أن يُدفَن في قبره ويكون رهِين عمله ورهِين كَسْبه في هذه الحياة؛ فيأتون إلى قبره ويُنزلون به حاجاتهم وطلباتهم، طالِبين منه المدد، طالِبين منه الغَوْث، طالِبين منه العون، طالبين منه الشِّفاء، طالبين منه الولد، مقدِّمين له النُّذور والقرابِين.

قال: (**وَكَمْ نُذُوْرًا**). (**وَكَمْ**)؛ للتكثِير.

(**وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا**)؛ أي: كم صَرفَ هؤلاء المشركون لهذه القبور من النُّذور والقرابِين.

النُّذور مثل: الزيوت، والشموع، والورود، والزهور، ونحو ذلك من التي ينذرها الواحد على نفسه أن يجعلها للضريح تقرُّبًا.

والقرابِين: من بهيمة الأنعام، ويختارون أطايبها وأنفسها.

(**لَهَا صَرَفوا**)؛ أي: صرفوها لهذه القبور، وهذا من الشِّرْك بالله؛ لأنَّ النَّذْر عبادة، والقرابِين عبادة، والعبادة حقٌّ لله ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾[سورة الإنسان، من الآية:٧]، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سورة الأنعام، من الآيتان: ١٦٢-١٦٣].

قال: (**لَهَا صَرَفوا ظُلْمًا**)؛ والشِّرْك أظلم الظُّلم وأشنعه؛ لأنَّ الظُّلم وَضْع الشيء في غير موضعه، وأيُّ ظُلمٍ أشنع من وَضْع العبادة في غير موضعها.

(**وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا**). (**الْمَنْقُوْشِ**)؛ أي: الدراهم والدنانير المنقوشة المزيَّنة المزخرفة المُجمَّلة التي تحمل قِيمة مالية، فيأتون بأموال كثيرة وباهظة ويتقرَّبُون بها للضريح، يُلقونها داخل الضريح.

(**وَكَم قِبَابًا عَلَيْهَا زُخْرِفَتْ**)؛ ورَفْع القبور ووَضْع القِباب العالية عليها من أسباب الشِّرْك ودواعيه، وقد نَهى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن تشييد القبور، ورَفْع الأبنية عليه، وبَعَثَ عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن لا يَدَعَ قَبْرًا مشِيدًا إلَّا سوَّاه؛ صيانةً منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وحمايةً لحِمَى التوحيد، وسدًّا لذرائع الشِّرْك.

وإذا بُنِيَ على القبر وشُيِّدَت القِباب العالية، وزُخرِف وجُمِّل ووضعت الستائر والشموع؛ إذا دخل العامِّي الجاهل؛ أَخَذَه جمال الزخرفة وجمال البناء، وروعة المنظر وهيبة المكان التي تقع في نفسه؛ فيبدأ في خطواتٍ نحو الشرك بالله: عكوفًا، استغاثةً، دعاءً، نذرًا، تقرُّبًا.

ولذا سدَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذرائع الشرك؛ فنهى عن البناء والتشييد على القبور، وأن يُسوَّى القبر، ولا يُرفَع إلا شبر، وتكون القبور متساوية؛ فيأمن ويَسْلَم الناس من الفتنة.

لكن إذا خُولف أمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وارتُكِبَت المُحدَثَات والضلالات؛ نشأ عنها وقوع الشِّرْك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**وَلَهَا أَغْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ**)؛ أي: لا يُفتقَد في تلك الأضرحة، وفي تلك المواضع وتلك القِباب.

(**أَغْلِي النَّسِيْجُ**)؛ أي: أعلاه ثمنًا، يختارون من النسيج -أي: من القماش والكساء- أغلاه ثمنًا، ويُوضَع، مثل الستور والستائر المحيطة بالقبر، ويضعونها بأشكال مزخرفة ومنمَّقة ومجمَّلة بحيث تأخذ قلوب العوام والجُهَّال.

قال: (**فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا**): أي: أنَّ هؤلاء المشركون يقصدون تلك القبور لدَفْع الشرور، وأيضًا لقضاء الحاجات؛ فهم يقصدونها في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشِّدة والرخاء، يقصدونها في جلب النَّعماء وفي دَفْع الضُّرِّ والبلاء. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣٨]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢].

الأمر كله بيد الله، جَلْب النَّعماء وكَشْف الضُّرِّ والبلاء؛ لكن القوم يلوذون بها في دَفْع الشرور، يُصيب الواحد منهم مرض، أو سقم، أو جائحة، أو مصيبة، أو بلية؛ فيفزع إلى القبر أو إلى المقبور؛ يطلب منه كَشْف ضُرَّه.

وإذا أيضًا احتاج مالًا، أو زوجةً، أو ولدًا أو غير ذلك؛ أيضًا ذهب إلى القبر وطلب منه.

(**فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا**)؛ (**وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ**): كل العبادات؛ الدعاء، الذبح، النذر، السجود، يُرى بعضهم يضع جبهته مستقبلًا القبر خاشعًا متذللًا باكيًا راجيًا

طامعًا من المقبور! يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [سورة الاعراف، من الآية:١٩٤]؛ هذا كله شركٌ صراح وكفرٌ بواح، (**وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْنَ اللهِ جَهْرًا**)؛ أي: لا حياء من الله ولا من عباد الله، مجاهرين بالشرك والكفر بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(**وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا**): ذلك بأنه إذا دُعي الله وحده اشمأزت تنفر قلوبهم من التوحيد، وإذا دُعوا إلى التوحيد اشمأزوا ونفروا وجحدوا.

(**وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا**): هذه الأمور التي يحكيها الشيخ ويعرضها مما يمارسه هؤلاء وأكثر منه عند القبور؛ ما هو:

يقول: (**إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ... شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟**): إن لم تكن هذه شركًا فلا يوجد شرك، الدعاء والذبح والنذر وطلب الحاجات، وقصدهم في كشف الضر والبلاء، وتقديم النذور والقرابين؛ فإن لم تكن هذه شرك فما هو الشرك؟

(**قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا**): قولوا: ما هو الشرك، أليس هذا هو الشرك؟! أي: قولوا لي: نعم هذا هو الشرك، وأقروا بالحقيقة المؤلمة الأسيفة وأنكروا هذا المنكر.

(**أَوِ ابْتَعِدُوا**): أي: لستم مني ولستُ منكم.

(**إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ... وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ**): البسيطة هي الأرض. (**إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ... وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ**): لا يوجد على وجه الأرض شركٌ يُنتقد، إن لم تكن هذه الممارسات وهذه الأعمال شركٌ بالله.

فهذا الفصل بيَّن فيه الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- حقيقة الشرك.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **بابٌ: الإيمان بالملائكة:**

وَبِالْمَلَائِكَةِ الرُّسْلِ الْكِرامِ عِبَا ** دِ اللهِ نُؤْمِنُ خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا
مِنْ دُوْنِ رَبِّي تَعَالَى وَالتَّبَابُ لِمَنْ ** كَانُوا لَهُ وَلَهُمْ والْمُرْسَلِيْنَ عَدُو
بَلْ هُمْ عِبَادٌ كِرَامٌ يَعْمَلَوْنَ بِأَمْـ ** ـرِ اللهِ لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلاَ وَلَدُ
مِنْهُمْ أَمِيْنٌ لِوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُهُ ** لِرُسْلِهِ وَهْوَ جِبْرِيْلٌ بِهِ يَفِدُ
وَللرِّيَاحِ وَقَطْرٍ وَالسَّحَابِ فَمِيْـ ** ـكَالُ بِذَاكَ إِلَيْهِ الْكَيْلُ وَالْعَدَدُ

كَـذَاكَ بالصُّـوْرِ إِسْـرافيْلُ وُكِّـلَ وَهْـ ** ـوَ الآنَ مُنْتَظِـرٌ أَنْ يَـأْذَنَ الصَّـمَدُ
وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَـوْلَهُمْ ذُكِرُوا ** وَزَائِـرُوا بَيْتِـهِ الْمَعْمُـوْرِ مَـا افْتُقِـدُوا
والحَـافِظُوْنَ عَلَيْنَـا الكَـاتِبُوْنَ لِمَـا ** نَسْعَى وفي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا
وَآخَـرُوْنَ بِحِفْـظِ العَبْـدِ قَـدْ وُكِلُـوا ** حَتَّـى إذا جَـاءهُ المَقْـدُورُ لَـمْ يَفِـدُوا
وَالْمَـوْتُ وُكِّـلَ حَقًّـا بِالْوَفَـاةِ لِـرُو ** حِ العَبْـدِ قَبْضًـا إِذَا مِنْهَـا خَـلا الجَسَدُ
وَمُنْكَـرٌ وَنكِيْـرٌ وُكِّـلاَ بِسُـؤَا ** لِ العَبْـدِ في القَبْـرِ عَمَّـا كَـانَ يَعْتَقِـدُ
كَـذَاكَ رِضْـوَانُ في أَعْوَانِـهِ خَزَنُـوا ** لِجَنَّـةِ الخُلْـدِ بُشْـرَى مَـنْ بِهَا وُعِـدُوا
كَـذَا زَبَانِيَـةُ النِّيْـرَانِ يَقْـدُمُهُمْ ** في شَـأْنِهَا مَالِـكٌ بِـالْغَيْظِ يَتَّقِـدُ
وَآخَـرُوْنَ فَسَـيَّاحُوْنَ حَيْـثُ أَتَـوَا ** مَجَالِسَ الـذِّكْرِ حَفُّـوا مَنْ بِهَا قَعَـدُوا
وَغَيْـرُهُمْ مِـنْ جُنُـوْدٍ لَـيْسَ يَعْلَمُهَـا ** إِلاَّ الْعَلِـيْمُ الْخَبِيـرُ الْوَاحِـدُ الأَحَـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بالملائكة**): الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وركنٌ من أركان الدين؛ قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٣٦]؛ فالإيمان بهم أصلٌ من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بالملائكة فهو كافر بالله؛ لأن من الإيمان بالله الإيمان بكل ما أمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالإيمان به، والملائكة خلقٌ من خلق الله، وجنود من جنوده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، خلقهم جَلَّ وَعَلَا من نور، وسخرهم مطيعين له جَلَّ وَعَلَا، ممتثلين أوامره، قائمين بكل ما يأمرهم به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يعصونه جَلَّ وَعَلَا في شيء مما يأمرهم به؛ ولهذا لا يوجد في الملائكة ما يسمى بالمعصية؛ فأحوالهم وشؤونهم وأعمالهم دومًا طاعة وامتثال. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، من الآية:٦].

وسُموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة؛ يقالُ: ألكني أي: أرسلني؛ فهم رسل؛ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١].

وكلٌ له وظيفته ومهمته التي وُكل بها، وكل منهم قائم بما وُكِّل به على التمام كما أمره الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

والواجب الإيمان بالملائكة كما أمر الله، وكما جاء في سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن نؤمن بأسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم إجمالًا فيما أُجمل، وتفصيلًا فيما فُصِّل؛ أي: ما ذُكر من ذلكم مجملًا نؤمن به مجملًا كما جاء، وما ذُكر من ذلك مفصلًا نؤمن به مفصلًا كما جاء، وفي هذا الباب يذكر الناظم -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى- شيئًا مما يتعلق بهذا الأصل العظيم:

قال: (**وَبِالْمَلاَئِكَةِ الرُّسْلِ الْكِرامِ عِبَادِ اللهِ نُؤْمِنُ**): أي: من عقيدتنا، وأصولنا الراسخة، وأسسنا الثابتة أننا نؤمن بالملائكة -الرسل الكرام-، الرسل كما قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [سورة فاطر، من الآية:١]، والكرام كما قال الله سبحانه: ﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:١١]، الملائكة رسل كرام، وهم عبادٌ مكرمون عند الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فنحن نؤمن بهم، ونؤمن أنهم عبادٌ لله، وجندٌ من جنوده سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، لا يفترون عن عبادته سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٢٠].

(**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا**): لاحظ! ذكر وصف العبودية، وصفهم بالعبودية؛ ثم تمَّم بقوله: (**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا**)؛ لأن العبد لا يُعبد، فخاب من عبد العبد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٩٤]، فالعبد لا يُعبد، العبادة حق للمعبود، للرب العظيم الخالق سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ومعنى خاب أي: خسر، وباء بالخيبة من عبدهم من دون الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال: (**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا مِنْ دُوْنِ رَبِّي**): أي: خاب وخسر من عبد الملائكة من دون الله تعالى.

(**وَالتَّبَابُ لِمَنْ كَانُوا لَهُ وَلَهُمْ والْمُرْسَلِيْنَ عَدُو**): التباب: الخسران؛ فيقول: أن الخسران لمن كانوا له ولهم والمرسلين عدوا؛ أي: من كانت الملائكة عدوًا له وكان عدوًا للملائكة وعدوًا للمرسلين فقد خاب وخسر. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٩٨].

فخاب وخسر من كان بهذه الصفة عدو لله عدو للملائكة و عدو للرسل و عدو لجبريل و عدو لميكائيل و عدو لغيرهم من الملائكة فقد خاب و خسر. و التباب لمن كانوا له: أي الملائكة و لهم: أي كان لهم و المرسلين عدو.

(**بَلْ هُمْ**): أي: الملائكة. (**عِبَادٌ كِرَامٌ**)؛ عباد مكرمون، عباد كرمهم الله، كرام على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**بَلْ هُمْ عِبَادٌ كِرَامٌ يَعْمَلَوْنَ بِأَمْرِ اللهِ**): أي: لا يعصون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، (**يَعْمَلَوْنَ بِأَمْرِ اللهِ**)؛ أي: كل ما يقوم به الملائكة يقومون به تنفيذًا وقيامًا بما أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به.

(**لَيْسَ لَهُ نِدٌّ**): فيه الرد على من جعل الملائكة شركاء لله.

(**وَلاَ وَلَدُ**): فيه الرد على من قال: إن الملائكة بنات الله –تعالى الله عما يقولون، وسبحان الله عما يصفون–.

ثم بدأ يذكر الملائكة بشيء من التفصيل بذكر بعض وظائفهم ومهامهم وأعمالهم وما وُكلوا به؛ فبدأ بأشرف الملائكة وأفضلهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ قال: (**مِنْهُمْ أَمِيْنٌ لِوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُهُ لِرُسْلِهِ**): (**مِنْهُمْ**)؛ أي الملائكة. (**أَمِيْنٌ**)؛ كما قال الله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٩٣-١٩٥]؛ فمنهم أمينٌ لوحي الله مهمته الإبلاغ –يبلغه–، (**يُبْلِغُهُ**)؛ أي: إلى الرسل، يبلغه لرسل الله، وهو جبريل.

(**بِهِ يَفِدُ**): أي: يأتِ ويقدم على رسل الله بالوحي، يسمع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووحيه منه سبحانه، وينزل به؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٩٢-١٩٥]؛ فهذا جبريل وهذه وظيفته –النزول بالوحي–.

(**وَللرِّيَاحِ وَقَطْرٍ وَالسَّحَابِ فَمِيكَالٌ**): الرياح والقطر والسحاب وكَّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به من الملائكة ميكال.

قد جاء في حديث يُرفع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث ابن عباس، وحسنه بعض أهل العلم أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سُئل من للقطر والنبات –أي: من الملائكة– فقال: «**ميكال**».

(**بِذَاكَ إِلَيْهِ الْكَيْلُ وَالْعَدَدُ**): (**بِذَاكَ**) أي: وُكِّل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإليه الكيل والعدد، الكيل لما يوزن، والعدد لما يُعد ويُحسب.

فميكال وكِل إليه الكيل والعدد –يعني: عدد القطر وعدد النبات ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الأمر–؛ كله وُكِل به ميكال.

(كَذَاكَ بالصُّوْرِ إِسْرافيْلُ): الصور، أي: القرن الذي يُنفخ فيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [سورة الكهف، من الآية:٩٩]، النفخ في الصور هذه مهمة وكل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بها ملك من الملائكة، وقد قال جماعة من أهل العلم: إنه إسرافيل، ولم يأت حديث صريح بذلك، لكن بعض أهل العلم استنبطه استنباطًا من بعض العمومات أو بعض الأدلة، وعلى هذا عدد من أهل العلم: أن إسرافيل هو الموكول بالنفخ في الصور.

(كَذَاكَ بالصُّوْرِ إِسْرافيْلُ وُكِّلَ ... وَهْوَ الآنَ مُنْتَظِرٌ أَنْ يَأْذَنَ الصَّمَدُ): (وَهْوَ الآنَ)؛ أي إسرافيل –الملك الموكل بالنفخ في الصور– منتظر أي على أتم الأهبة والاستعداد والتهيؤ ومُصغٍ بسمعه، وملتقم للقرن –على أتم استعداد تهيؤ–، ملتقم للقرن –يعني القرن في فمه– ومصغٍ بسمعه، ينتظر أن يُؤمر؛ هذا معنى قول الناظم: (وَهْوَ الآنَ مُنْتَظِرٌ أَنْ يَأْذَنَ الصَّمَدُ)؛ أن يأذن الله له أن ينفخ.

بحيث أنه مجرد ما يسمع الإذن بالنفخ ينفخ. فمه ملتقمٌ للصور وأذنه مصغية.

وقد جاء في الحديث عن نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**كيف أنعم وقد التقم ملكُ الصورِ الصورَ، وأصغى بسمعه ينتظر أن يُؤمر**»، والتقمه أي: وضعه في فمه، وأصغى بسمعه أي: أنصت، ينتظر أن يؤمر: أي: أن يؤمر بالنفخ. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٦٨].

والنفخات التي تكون منه ثلاث نفخات أو نفختان قولان لأهل العلم، والأقرب –والله أعلم– أنها ثلاث نفخات:

- نفخة الفزع: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة النمل، من الآية:٨٧].
- ونفخة الصعق –الموت– يفنى ويموت الجميع على إثرها.
- والنفخة الثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

قال: (وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا): أي: نؤمن بهم؛ نؤمن بالملائكة الذين هم حملة العرش، ونؤمن بالملائكة الذين هم حول العرش حافين به.

ذكر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الحملة وحدهم في قوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [سورة الحاقة، من الآية:١٧]، وذكر الملائكة الحافين بالعرش وحدهم في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٥]، وذكرهما معًا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [سورة غافر، من الآية:٧].

(**وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا**): أي: في كتاب الله، ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه؛ فوجب الإيمان بهم.

وأيضًا (**وَزَائِرُوا بَيْتِهِ الْمَعْمُوْرِ**): الذي في السماء السابعة، وعندما رُفع عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعُرج به إلى السماء قال: «**رأيت البيت المعمور فسألت جبريل: قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون**»؛ كل يوم يدخله سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون، أي: من دخله مرة لا يعود إليه مرة ثانية، ويوميًا يدخله سبعون ألف ملك؛ وهذا من الدلائل على كثرة عدد الملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]؛ أي: كمٌّ كثير، وعددٌ كثير.

(**وَزَائِرُوا بَيْتِهِ الْمَعْمُوْرِ مَا افْتُقِدُوا**): أي: لا يُفتقدون عند البيت؛ لأنه يوميًا يأتي إلى البيت سبعون ألف فلا يُفتقدون الملائكة عند البيت؛ لأنهم باستمرار ويوميًا كل يوم عند البيت المعمور سبعون ألف ملك.

(**والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا الكَاتِبُوْنَ لِمَا ... نَسْعَى وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا**): (**والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا**)؛ أي: أعمالنا؛ يكتبونها ويحصونها؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا في سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:١٠-١٢]. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾؛ أي: للأعمال والأقوال يحصونها ويكتبونها. ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، (**والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا الكَاتِبُوْنَ لِمَا نَسْعَى**)؛ أي: الكاتبون لسعينا من قولٍ أو عمل، يكتبونه، والدليل الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(**وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا**): (**وفِي الْحَشْرِ**) أي: يوم القيامة إذا حُشر الناس إلى رب العالمين؛ شهد الملائكة عليهم بالأعمال التي عملوها، والأقوال التي قالوها، والمعاصي التي ارتكبوها؛ تشهد عليهم الملائكة. (**وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا**): أي: شهدوا على العباد بما كانوا يعملون.

(**وَآخَرُوْنَ بِحِفْظِ العَبْدِ قَدْ وُكِلُوا**): كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:١١]. أي: بأمر الله.

(**حَتَّى إِذا جَاءهُ المَقْدُورُ لَمْ يُفِدُوا**): أي: لا يفيدونه شيئًا، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

الشاهد: أن الله عَزَّوَجَلَّ وكَّل من الملائكة من مهمتهم حفظ العباد، وإذا جاء الأمر أو القدر خلوا بينه وبينه ولم يفيدوه شيئًا.

(**وَالْمَوْتُ وُكِّلَ حَقًّا بِالْوَفَاةِ لِرُوحِ ... الْعَبْدِ قَبْضًا إِذَا مِنْهَا خَلا الجَسَدُ**): أي: أن ملك الموت وُكِّل بقبض الأرواح كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة، من الآية:١١]؛ (**وَالْمَوْتُ وُكِّلَ حَقًّا بِالْوَفَاةِ لِرُوحِ الْعَبْدِ**)؛ أي: ملك الموت. (**بِالْوَفَاةِ**)؛ أي بالقبض. (**لِرُوحِ الْعَبْدِ قَبْضًا إِذَا مِنْهَا خَلا الجَسَدُ**)؛ فيقبض روحه، وقد وكل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذا الأمر ملكًا من الملائكة. ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ وقد جاء تسميته أو ذُكر أن اسمه عزرائيل، ولم يثبت به دليلٌ صحيح.

(**وَمُنْكَرٌ وِنَكِيرٌ وُكِّلاَ بِسُؤَالِ ... العَبْدِ فِي القَبْرِ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ**): وهذا ثبت به الحديث -في الترمذي وغيره- أن الميت إذا أُدخل القبر أتاه ملكان يُقال لأحدهما: المنكر ويقال لأحدهما: النكير، وقد وُكلا هذان الملكان بسؤال القبر وبفتنة القبر؛ ولهذا يقال لهما: الفتَّانان؛ لأن مهمتهما هذه سؤال الميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقيل لهما المنكر والنكير؛ لأنهما يأتيان للإنسان بهيئة منكرة غير معهودة عنده إطلاقًا -يعني: بصورة منكرة لم يسبق أن مر عليه مثلها-. وجاء في بعض الروايات: «**زرق العيون وسود الوجوه**»؛ فهي: هيئة منكرة لم يعهدها الميت ولم تمر عليه.

(**وَمُنْكَرٌ وِنَكِيرٌ وُكِّلاَ بِسُؤَالِ ... العَبْدِ فِي القَبْرِ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ**): أي: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ثلاثة أسئلة في الاعتقاد.

(**كَذَاكَ رِضْوَانُ فِي أَعْوَانِهِ خَزَنُوا لِجَنَّةِ الخُلْدِ**): أي: مهمتهم أنهم خزنة للجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٣]؛ نسأل الله الكريم من فضله.

فالجنة لها خزنة، والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هنا يشير إلى وجوب الإيمان بخزنة الجنة من الملائكة.

قوله: (**كَذَاكَ رِضْوَانُ**): فيما أعلم لم يثبت في ذلك حديث صحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. ولعل بعض الإخوة ينتدب لتحقيق ذلك ودراسة ما جاء فيه.

(**فِي أَعْوَانِهِ خَزَنُوا لِجَنَّةِ الخُلْدِ بُشْرَى مَنْ بِهَا وُعِدُوا**): أي: من وُعد بالجنة وعد بهذا النعيم؛ يتلقاه الخزنة كما مر معنا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٣].

(**كَذَاك**): أي: مما يجب أن نؤمن به. (**زَبَانِيَةُ النِّيْرَانِ**)؛ والنار وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها عدد كبير من الملائكة، وعلى هذا العدد من الزبانية تسعة عشر؛ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [سورة المدثر، من الآية:٣٠]؛ فهؤلاء رؤوس الملائكة الذين وُكلوا بالنار، ورأس هؤلاء جميعًا مالك؛ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:٧٧].

قال: (**كَذَا زَبَانِيَةُ النِّيْرَانِ يَقْدُمُهُمْ فِي شَأْنِهَا مَالِكٌ**)؛ (**يَقْدُمُهُمْ فِي شَأْنِهَا**)؛ أي: شأن النيران. (**مَالِكٌ**)؛ مالك الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ فمالك ملكٌ جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُقدَّمًا وأساسًا للملائكة الذين وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهم خزانة النار.

(**بِالْغيْظِ يَتَّقِدُ**): أي: على أهل النار.

(**وَآخَرُوْنَ**): أي: من الملائكة.

(**فَسَيَّاحُوْنَ حَيْثُ أَتَوا مَجَالِسَ الذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا**): أي: أن هناك من الملائكة من مهمتهم السياحة في الأرض كما جاء في الحديث الصحيح: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن لله ملائكة فضلاء يسيحون في الأرض، فإذا مروا بمجلس ذكر تنادوا هلم إلى حاجتكم؛ فيحفون المجلس بأجنحتهم**»، وفي الحديث الآخر: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»، قال: «**وحفتهم الملائكة**»؛ هذا الشاهد. وفي الحديث الآخر قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع**»، وهذا المعنى العظيم؛ الإيمانُ به واستشعارُه مما يزيد طالب العلم إقبالًا على العلم؛ فهذه كرامة له عند الله وفضيلة عظيمة جدًا، وطالب العلم وإن لم يكن يرى الملائكة فهو على يقين مما يُخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأن الذي أخبر بذلك صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى.

فهذه كرامة وفضيلة لطالب العلم أن جعل الملائكة تحفه بأجنحتها وتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع؛ فإذا استشعر طالبُ العلم هذه المعاني لا يستوحش في طريق الطلب؛ بل تزداد همته وتعظُم رغبته، ويستشعر بهذه الكرامة العظيمة التي أكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها طالب العلم.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر هذه النصوص كلها في سياق الترغيب في طلب العلم؛ «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**، وإن الملائكة»، فساق هذا في مساق التغريب في طلب العلم؛ إذًا استشعار طالب العلم لهذه الحقائق العظيمة والكرامات الجليلة التي يُكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها طالب العلم مما يحفزه لمزيد من الطلب والثبات عليه والحرص عليه.

قال: (**وَآخَرُوْنَ فَسَيَّاحُوْنَ حَيْثُ أَتَوَا ... مَجَالِسَ الذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا**): أي: حفوا القاعدين في مجالس الذكر، ومعنى: حفوهم؛ أي: بأجنحتهم.

(**وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُنُوْدٍ لَيْسَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ الْعَلِيْمُ**): يشير في هذا البيت أنه فقط ذكر بعض الأمثلة أو بعض النماذج وإلا فهم جنود لا يعلم عددهم وأعمالهم ووظائفهم ومهامهم إلا العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر، من الآية:٣١]. (**وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُنُوْدٍ لَيْسَ يَعْلَمُهَا ... إِلاَّ الْعَلِيْمُ الْخَبِيرُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ**).

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ: الإيمان بكتب الله المُنزلة:

وَكُتْبُهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ مُنْزَلَةٌ ** نُوْرًا وَذِكْرَىً وَبُشْرَى لِلَّذِيْنَ هُدُوا
ثُمَّ الْقُرَآنُ كَلاَمُ اللهِ لَيْسَ كَمَا ** قَالَ الَّذِيْنَ عَلَى الإِلْحَادِ قَدْ مَرَدُوا
جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيْعَتُهُمْ ** أَلاَ فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا
تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ بِهِ ** قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا بِهِ الرَّشَدُ
نَتْلُوْهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ** خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ
وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوْقَةٌ وَكَذَا ** آلاَتُنَا الرَّقُّ وَالأَقْلاَمُ وَالْمُدَدُ
وَلَيْسَ مَخْلُوْقًا الْقُرآنُ حَيْثُ تُلِي ** أَوْ خُطَّ فَهْوَ كَلاَمُ اللهِ مُسْتَرَدُ
وَالْوَاقِفُوْنَ فَشَرٌّ نِحْلَةً وَكَذَا ** لَفْظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بكتب الله الـمُنْزَلة**) -أو الـمُنَـزَّلة-؛ وهذا أيضًا ركن من أركان الإيمان، وقد مر معنا الآيات الجامعة لأصول الإيمان، وفيها هذا الأصل العظيم.

وكُتب الله هي كتبٌ أوحاها الله عَزَّوَجَلَّ وأنزلها على رسله الكرام مشتملة على هداية البشر وصلاحهم وفلاحهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

والواجب الإيمان بكل كتابٍ أنزله الله، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١٥]؛ أي: قل أنا مؤمن بكل كتاب أنزله الله على أي رسول سواءً علمت اسم الكتاب أو لم أعلم، سواءً علمت الرسول الذين أُنزل عليه الكتاب أو لم أعلم، سواءً علمت شيئًا من التفاصيل الموجودة فيه أو لم

أعلم؛ أنا مؤمنٌ بكل كتاب أنزله الله. جميع الكتب التي أنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أنبيائه ورسله أنا مؤمنٌ بها إجمالًا فيما أُجمل وتفصيلًا فيما فُصِّل، ما بلغنا من هذه الكتب مفصَّلة نؤمن به؛ فنقول على سبيل المثال: من كتب الله التوراة أنزله على موسى، منها الإنجيل أنزله على عيسى، الزبور على داود؛ فمثل هذه التفاصيل التي وردت نؤمن بها مفصلةً كما جاءت، أيضًا التفاصيل التي تضمنته مما بلغنا بالطرق الصحيحة الثابتة نؤمن به. فنؤمن بكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المنزلة والإيمان بها ركنٌ من أركان الدين.

والإيمان بها يكون بالإيمان بأنها كتب الله ووحيه، وأنه هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي تكلم بها لا غيره، وأنها مشتملة على هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وأن أنبياء الله قد بلغوا تلك الكتب تامةً إلى أقوامهم بدون زيادةً ولا نقصان؛ فكل ذلكم الإيمان به من الإيمان بالكتب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُتُبُهُ**): أي: الله. المنزلة. (**وَكُتُبُهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ مُنْزَلَةٌ**)؛ أي: أنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحق والهدى؛ فهي كتب حقٍّ وكتب هداية؛ كتب حق ليس فيها باطل، وكتب هداية ليس فيها ضلالة.

(**مُنْزَلَةٌ**): أي: أنزلها الله. (**نُوْرًا**)؛ أي: للعباد. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ [سورة الشورى، من الآية:٥٢]؛ فأنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نورًا للعباد تضيئ لهم الظلمات، ويميزون بها بين الحق والباطل والهدى والضلال.

(**وَذِكْرَىً وَبُشْرَى**): فهي كتبٌ فيها الذكرى للبشر بما فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وبشرى لمن عمل بهذه الذكرى؛ فمن عمل بما في الكتب من الذكرى فاز بأعظم البشارة. ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [سورة الزمر، من الآية:١٧-١٨]؛ فالذي ينتفع بالذكرى التي في الكتب له أعظم البشارة بكل خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

(**نُوْرًا وَذِكْرَىً وَبُشْرَى لِلَّذِيْنَ هُدُوا**): أي: هُدُوا بهدايات ودلالات وإرشادات كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الـمُنزَّلة.

هذا في عموم الكتب، خلاصة ما يجب علينا في عموم الكتب.

قال: (**ثُمَّ القُرَآن**): أي: المنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خاتم الكتب المنزلة. (**ثُمَّ القُرَآنُ كَلامُ اللهِ**)؛ أي: نعتقد أنه كلام الله تكلَّم به هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٦]؛ فالقرآن كلام الله تكلم به رب العالمين لا غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**ثُمَّ القُرَآنُ كَلاَمُ اللهِ لَيْسَ كَمَا ... قَالَ الَّذِيْنَ عَلى الإِلْحَادِ قَدْ مَرَدُوا**): أي: أصبحوا متمردين على شرع الله ودينه، مُلحدين زائغين معرضين. فالذي نعتقده أن القرآن كلام الله ليس كما يقول الذين تمردوا وألحدوا وانحرفوا عن الحق والهدى، وقالوا بأنه مخلوق من مخلوقاته، وأنه من كلام البشر.

ثم ذكر أمثلة لهؤلاء:

(**جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيْعَتُهُمْ**): ذكر هؤلاء الرؤوس لهذه المقالة الباطلة: الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وهؤلاء شيوخ الجهمية ومؤسسو عقائدهم، وبشر بن غياث المرِّيسي شيخ المعتزلة ومن أُسس باطلهم. (**جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيْعَتُهُمْ**)؛ أي: من شايعهم في هذا الضلال وتبعهم في هذا الباطل.

(**أَلاَ فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا**): أي: من كانت هذه حالهم بُعدًا لهم وسحقًا، وقد بعدوا؛ لأنهم بهذه المقالات الباطلة والعقائد الفاسدة بعدوا عن كل خيرٍ وفضيلة، وباءوا بكل خسران وهلكة.

(**أَلاَ فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا**)؛ وهؤلاء عقيدتهم في القرآن أنه ليس كلام الله، ويعتقدون فيه أنه مخلوق من مخلوقات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ وهذا كفر بإجماع السلف، وحكى إجماعهم على ذلك غير واحد من أهل العلم، والإمام اللالكائي -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى- في كتابه [**شرح الاعتقاد**] سمى أكثر من خمسمائة عالم، وساق الأسانيد إليهم في تكفير من يقول: القرآن مخلوق.

(**تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِهِ**): الذي نعتقد هو هذا؛ أن الله رب العالمين تكلم به.

(**تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِهِ قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا بِهِ الرَّشَدُ**): فهو كلامه وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي قاله، والكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً لا إلى من نقله أداءً؛ جبريل مُبلِّغ، ونبينا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مُبلِّغ، والقرآن يُنسب إلى من قاله ابتداءً وهو الله رب العالمين؛ فيُقال: كلام الله، لا يُقال: كلام جبريل، ولا يُقال: كلام محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، بل هو كلام الله، وجبريل مبلغ، ومحمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ رسول بشري، جبريل رسول ملكين، ومحمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ رسول بشري، ومهمة الرسول ما هي؟ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [سورة النور، من الآية:٥٤]، فالقرآن كلام الله، هو الذي تكلم به، سمعه منه جبريل فبلغه إلى محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ومحمدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سمعه من جبريل وبلغه للأمة؛ ولهذا إسناد تالي القرآن يتصل إلى الصحابي إلى النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إلى جبريل إلى رب العالمين، مع أن بعض الذين يجيزون أو يمنحون بعض الإجازات بتلاوة القرآن وحفظه ممن أُصيبوا بلوثة هؤلاء وعقيدتهم الباطلة يُنهون الإسناد إلى اللوح المحفوظ، ينهون الإسناد في الإجازات إلى اللوح المحفوظ،

وهذا بسبب لوثة عقائد الجهمية والمعتزلة التي دخلت حتى على بعض القراء وبعض المُقرئين لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**نَتْلُوْهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ**): كم واحدة هذه؟ أربع ولا خمس؟

- نتلوه.
- نسمعه.
- نراه.
- نكتبه.
- نحفظه.

هذه خمسة أمور يتوجه إليها القرآن؛ يُتلى -أي: بالألسن-، يُسمع- أي: بالآذان-، يُرى في المصاحف بالأبصار، يُكتب في الصحف، يُحفظ بالقلوب.

والسلف يقولون: القرآن أينما توجه كلام الله، يعني: سواءً حُفظ في الصدور، أو كُتب في السطور، أو تلته الألسن، أو رأته في الصحف الأعين، أو سمعه السامع بأذنه؛ فأينما توجه كلام الله؛ يعني: لا يخرجه عن كونه كلام الله تلاوة التالي له، أو كتابة الكاتب له، أو قراءة القارئ له، أو حفظ الحافظ له في قلبه، أينما توجه مثل ما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "القرآن أينما توجه كلام الله"؛ لأن الكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً، أرأيتم لو أن شخصًا قال كلامًا وحفظتُه أنا في صدري، أو أسمعتكم إياه؛ هل يخرج عن أنه كلامه؟ مثل الآن بيت من الأبيات معروف لأحد الشعراء قلته لكم الآن، أصبح البيت لي أنا؟! أو لمن قاله ابتداءً، فالكلام معروف يُنسب إلى من قاله ابتداءً، فكون القرآن يُتلى أو يُحفظ أو يُكتب، أو يُسمع بالآذان، أينما توجه فهو كلام الله.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٦]، الصوت صوتُ القارئ، لكن الكلام كلام مَن؟ كلام البارئ سبحانه؛ فكونه سُمع بالآذان أو كُتب في السطور أو حفظ في الصدور أو نحو ذلك لا يُخرجه عن كونه كلام الله؛ لأن الكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً. فإذًا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**نَتْلُوْهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ**)؛ فعقيدتنا في القرآن أنه أينما توجه فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عقيدتنا فيه أنه أينما توجه فهو كلام الله.

(**وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوْقَةٌ**): أفعال العباد مخلوقة، وكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير مخلوق، أفعالنا: مثل الصوت، وحركة اللسان؛ هذه أفعال لنا هذه مخلوقة، لكن الكلام نفسه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَكَذَا آلاتُنَا): الأدوات التي نستخدمها في الكتابة. **(الرَّقُّ والأَقْلامُ وَالْمُدَدُ)**؛ والحبر هذه مخلوقة، المصحف الذي كُتب كُتب بمداد وكُتب على أوراق، ووضع في غلاف وجلد؛ هذه مخلوقة، الحبر والمداد والأوراق والغلاف، هذه كلها مخلوقة، لكن الكلام المكتوب كلام الله؛ فكونُه كُتب في السطور لا يخرجه عن كونه كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَلَيْسَ مَخْلُوْقًا الْقُرآنُ حَيْثُ تُلِي ... أَوْ خُطَّ): أي: أينما توجه ليس مخلوقًا، تُلي، أو خُطَّ، أو سُمع، أو رُئيّ في المصاحف، أو حُفظ في الصدور؛ أينما توجه هو كلام الله ليس بمخلوق.

(فَهْوَ كَلامُ اللهِ مُسْتَرَدُ): أي: هو كلام الله لا يخرجه عن كونه كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يتلى أو يُخط أو نحو ذلك.

ثم ختم بذم طائفتين من طوائف الجهمية وهم: الواقفة واللفظية؛ بعد أن حذر من الجهمية القائلين بخلق القرآن، ختم بالتحذير من طائفتين من طوائف الجهمية وهم: الواقفة واللفظية، قال:

(وَالْوَاقِفُوْنَ فَشَرٌّ نِحْلَةً): الواقفون أي: الذي يقول: أنا أتوقف في المسألة؛ لا أقول: القرآن كلام الله ولا أقول: ليس كلام الله، لا، أنفي ولا أُثبت، أتوقف، هذا جهمي، وعقيدته شر عقيدة –مثل ما قال الناظم: **(وَالْوَاقِفُوْنَ فَشَرٌّ نِحْلَةً)**؛ ربما يرى بعض الناس أن هذا هو الورع أن يقول: أنا أتوقف؛ لا أُثبت ولا أُنفي، لا أقول: بأنه مخلوق ولا أقول: أنه ليس بمخلوق، لكن هذا مجانب للورع كل المجانبة، بل هي عقيدةٌ شر وفساد، وهي كما وصف الناظم: **(فَشَرٌّ نِحْلَةً)**.

والذي قال هذه المقالة لم يقلها إلا لدخول شبهة الجهمية عليه، وإلا فإن الأمر واضح وبيِّن غاية البيان أن القرآن كلام الله، فمن لم يعتقد أنه كلام الله فهو جهمي، سواء قال: أنا أتوقف، أو صرَّح بما صرحت به الجهمية؛ فمن لم يقل: إن القرآن كلام الله فهو جهمي؛ لأن مقالة الجهمية أثَّرت فيه ودخلت إلى قلبه؛ ولهذا قال السلف: الواقفة جهمية؛ ومعنى ذلك: أن مقالة الجهمية أثَّرت فيه.

(وَكَذَا لَفْظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا): بعض النسخ **"رَاحُوا"**؛ **(سَاءَ مَا رَامُوا)**: أي: ما طلبوا وما قصدوا من معتقد، واللفظية هم الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهؤلاء أيضًا جهمية متأثرين بمقالة الجهمية، وعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق تتضمن كلمته هذه بمجملها أن القرآن مخلوق؛ لأن اللفظ يشمل الملفوظ المتلو المقروء، ويشمل القراءة والتلاوة التي هي فعل العبد.

فإذا قال: (لفظي للقرآن مخلوق، أو تلاوتي للقرآن مخلوقة أو قراءتي للقرآن مخلوقة)؛ فهذا جهمي؛ لأن مقالة الجهمية أثرت فيه.

والحق أن الأمر في هذا الباب يُفصَّل فيه؛ لا يقال: اللفظ مخلوق، ولا يقال أيضًا: اللفظ غير مخلوق.

وإنما يُفصَّل؛ يقال: إن كان المقصود باللفظ المقروء المتلو؛ فهذا كلام الله ليس بمخلوق، وإن كان المقصود فعل العبد؛ فالأمر كما قال الناظم قبل قليل: (**وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوْقَةٌ**).

هذا المعنى الذي ورد في هذا البيت في ذم الواقفة وذم اللفظية، وأيضًا ما جاء في الأبيات التي قبله في ذم الجهمية؛ نظمه الإمام ابن أبي داود في حائيته المشهورة في ثلاثة أبيات. من يحفظها؟

ولا تــك بــالقرآن بــالوقف قــائلًا ** كما قال اتباعٌ لجهم وأسجحوا

فالواقفة عند السلف جهمية.

بقي بيت يتعلق باللفظية.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **بابٌ: الإيمان بالرسل** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وَالرُّسْلُ حَقٌّ بِلاَ تَفْرِيْقَ بَيْنَهُمُ ** وَكُلُّهُمْ لَلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ هَدوا
وَبِالْخَوَارِقِ وَالإِعْجَازِ أيدَهُمْ ** رَبِّي عَلَى الْحَقِّ مَا خَانُوْا وَمَا فَنَدُوا
وَفَضَّلَ اللهُ بَعْضَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى ** بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وُعِدُوا
مِنْ ذَاكَ أَعْطَى لِإِبْرَاهِيْمِ خُلَّتَهُ ** كَذَا لأَحْمَدَ لَمْ يَشْرُكْهُمَا أَحَدُ
وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ ** حَقًّا وَخَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ فاعْتَمِدُوا
وَكَانَ عِيْسَى بِإِذْنِ اللهِ يُبْرِئُ مِنْ ** عِلاَّتِ سُوْءٍ ويُحْيي الْمَيْتَ قَدْ فَقَدُوا
والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا ** أَمَّا الْفُرُوْعُ فَفِيْهَا النَّسْخَ قَدْ تَجِدُ
إلاَّ شَرِيْعَتَنَا الْغَرَّا فَلَيْسَ لَهَا ** مِنْ نَاسِخٍ مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أَحُدُ
إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ فَمَنْ ** مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحيًا كَاذِبٌ فَنِدُ
وكَانَ بعْثَتُهُ لِلْخَلْقِ قَاطِبَةً ** وَشَرْعُهُ شَامِلٌ لَمْ يَعْدُهُ أَحَدُ

وَلَمْ يَسعْ أَحَدًا عَنْها الخروجُ وَلَوْ ** كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بالرسل** عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)؛ والإيمان بهم كما مر معنا في الآيات من أصول الإيمان العظيمة وأُسس الدين المتينة.

والإيمان بالرسل -عليهم صلوات الله وسلامه- يتناول أمورًا عديدة أشار الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- إلى جملةٍ منها بحسب ما يتناسب مع هذه المنظومة المختصرة.

قال: (**وَالرُّسْلُ حَقٌّ**): قد كان نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول كل ليلة: «**والنبيون حق**» عندما يقوم الليل؛ فهذه عقيدة يجب على المسلم أن يجدد الإيمان بها، وأن يُحضرها في قلبه اعتقادًا وإيمانًا وتسليمًا.

(**وَالرُّسْلُ حَقٌّ بِلاَ تَفْرِيْقَ بَيْنَهُمُ**): مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]؛ أي: نعتقد أنهم كلهم حق، وأنهم كلهم دعاةُ هدى، وأنهم كلهم مبلِّغون عن الله، وأنهم كلهم بلَّغوا البلاغ المبين، وأنهم نصحوا لأممهم، وأنهم ما تركوا خيرًا إلا دلوا الأمم عليه، ولا شرًا إلا حذرهم منه. لا نفرق بين الرسل. كل الرسل حق وكلهم بلغوا، وكلهم قاموا بالمهمة، كما أمرهم الله، نصحوا، ووضحوا، وبينوا، ودعوا إلى الله، وهدوا إلى صراطه المستقيم، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وأن ينذرهم من شر ما يعلمه لهم**».

(**وَكُلُّهُمْ لَلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ هُدُوا**): أي: كلهم هُداة ودُعاة إلى صراط الله المستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٥٢-٥٣]، كل الرسل هذا شأنهم؛ هُداةٌ ودُعاةٌ إلى صراط الله المستقيم.

وقوله: (**هَدَوا**): أي: هداية دلالة وبيان، وأما هداية التوفيق فهي بيد الله، وإذا قيل: (**هُدُوا**)؛ فالهداية هنا هداية التوفيق؛ أي: هداهم الله ووفقهم.

وإذا قيل: (**هُدُوا**)؛ فالهداية هداية التوفيق؛ وإذا قيل: (**هَدُوا**): أي: المراد هداية الدلالة والإرشاد، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، الهداية بمعنى: الدلالة.

(**وَبِالْخَوَارِقِ وَالإِعْجَازِ أيدَهُمْ**): أي: أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أيد الرسل الكرام بالخوارق وبالآيات وبالمعجزات وبالبراهين، وسيأتي إشارة إلى شيءٍ من ذلك.

(**أيدَهُمْ رَبِّي عَلَى الْحَقِّ**): أي: على الحق الذي بعثهم به وأرسلهم دعاة إليه، فأيدهم بالخوارق والمعجزات.

(**مَا خَانُوْا وَمَا فَنَدُوا**): أي: لم يكن أحدٌ منهم ذا خيانة أو كذب؛ بل جميعهم بلَّغوا ما أمروا به دون خيانة ودون كذب، وحاشاهم من ذلك، بل بلغوا البلاغ المبين على التمام والكمال كما أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وَفَضَّلَ اللهُ بَعْضَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى ... بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وُعِدُوا**): أي: به في الآخرة، فضَّل بين الأنبياء والمرسلين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٥]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٣]. فنعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ فضَّل الرسل بعضهم على بعض.

(**بِمَا شَاءَ**): خصَّ بعضهم بأن اتخذه خليلًا؛ فاتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خليلًا، خصَّ بعضهم بأن كلمه تكليمًا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٦٤]، وأيضًا كلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكليمًا حينما عُرج به إلى السماء، ففضل الله بعض المرسلين على بعض بما شاء في الدنيا.

(**وَمَا وُعِدُوا**): أي: به في الآخرة، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الوسيلة: «**هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لواحد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو**».

ف(**مِنْ ذَاكَ**): -يعني من وجوه التفضيل- (**أَعْطَى لِإِبْرَاهِيْمَ خُلَّتَهُ كَذَا لأَحْمَدَ لَمْ يَشْرُكْهُمَا أَحَدُ**)؛ أي: أن الخلة إنما كانت لهذين فقط، لإبراهيم الخليل ولمحمدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي الحديث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**».

(**وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ**): أي أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمع كلام الله من الله بلا واسطة؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه، من الآية:١٢]، سمع هذه الكلمات من الله بدون واسطة -أي: الملك-.

(**وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ حَقًّا**): أي: كلامًا حقًّا سمعه موسى من الله.

(**وَخَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ**): أي: بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما جاء في الحديث: «**إن الله كتب التوراة بيده**».

(**فاعْتَمِدُوا**): أي: اعتمدوا ذلك عقيدةً لصحة الخبر به.

(**وَكَانَ عِيْسَى بِإِذْنِ اللهِ يُبْرِئُ مِنْ عِلاَّتِ**): أي: من أسقام وأمراض. ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٤٩].

(**ويُحْيِي الْمَيْتَ قَدْ فَقَدُوا**): أي: الميت الذي فقد أهله بخروج روحه منه؛ يحيه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**والكُلُّ**): أي: جميع المرسلين.

(**والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا**): أي: كلهم في العقيدة على عقيدة واحدة، متفقون على عقيدة واحدة؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**نحن الأنبياء أبناء علات، ديننا واحد، وأمهاتنا شتى**».

«**ديننا واحد**»؛ أي: عقيدتنا واحدة، «**أمهاتنا شتى**»؛ أي: شرائعنا مختلفة كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة، من الآية:٤٨]، أما التوحيد فهو واحد عند جميع النبيين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الانبياء، من الآية:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:٢١]؛ أي: الرسل. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:٢١]؛ فأمور التوحيد والاعتقاد عند النبيين واحدة.

ولهذا قال العلماء: العقيدة لا يدخلها نسخ، لا بين نبي وآخر، ولا أيضًا في شريعة النبي الواحد؛ العقيدة لا يدخلها نسخ، لا تُنسخ العقيدة، العقيدة واحدة، فالعقيدة التي كان عليها آدم هي التي عليها جميع النبيين، وبُعث بها جميع المرسلين.

(**والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا ... أَمَّا الْفُرُوْعُ فَفِيْهَا النَّسْخَ قَدْ تَجِدُ**): أي: قد تجد النسخ فيها، تجد النسخ فيها بين نبي وآخر، وتجد النسخ فيها في شريعة النبي الواحد، يُشرع له ولأمته شيءٌ ثم يُنسخ إلى أمرٍ آخر، هذا في الفروع، أما العقائد لا؛ العقائد لا تُنسخ، فلا يدخلها النسخ.

(**إلاَّ شَرِيْعَتَنَا الْغَرَّا فَلَيْسَ لَهَا مِنْ نَاسِخٍ**): أي: شرائع الأنبياء تُنسخ؛ تأتي شريعة النبي الآخر فتَنسخ الشريعة، أما شريعة النبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فليس لها ناسخ، أي: لن يأتي بعدها شريعة نبي آخر تنسخها؛ فشريعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي مات عليها وترك أمته عليها شريعة كاملة لا يدخلها بعد ذلك نسخ، إلا شريعتنا الغراء فليس لها من ناسخٍ.

(**مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أَحُدُ**): أي: ما وُجِدَ على هذه الأرض إنسان. المعنى: أي إلى قيام الساعة لن تُنسخ، باقية إلى قيام الساعة.

مداخلة: .... (١:٣٣:٢٨)

ممكن نعم.

(مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ)؛ يعني ما وُجِدَ في الأرض هذا الجبل -جبل أُحد-، والمراد إلى قيام الساعة. وفي الآية الكريمة قال: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾ [سورة النازعات، من الآية:٣٢]؛ (مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ)؛ والمراد بأُحد: الجبل المعروف في المدينة، أي: ما دام أن جبل أُحد راسيًا ثابتًا في مكانه ما يعتريها نسخ.

والمقصود: أنها غير منسوخة إلى قيام الساعة؛ لأن جبل أُحد باقي إلى أن يأتي اليوم الذي تنسف فيه الجبال ﴿نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا﴾ [سورة طه، من الآية:١٠٥-١٠٦]؛ فالمعنى إذا: (مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ)؛ أي: إلى قيام الساعة لن تُنسخ شريعته -صلوات الله وسلامه عليه-.

(إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ): هذا التعليل والتبيين لما سبق؛ لأنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُتم به المرسلون فلا نبي بعده، إذًا إلى قيام الساعة لن تُنسخ الشريعة التي جاء بها عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ فَمَنْ ... مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحْيًا كَاذِبٌ فَنِدُ): أي: الذي يروم ويزعم أو يدعي أنه يوحى إليه بعد النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو كاذب مفترٍ، وقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يأتي بعدي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي**»، كما جاء في حديث ثوبان، فالذي يزعم بعده عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه نبي فهو كاذب فند أي كاذب مفترٍ على الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكذب.

وقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثلاثون**»؛ مع أن الذين وُجدوا عبر التاريخ إلى زماننا هذا أكثر من هذا بكثير أكثر من ثلاثين؛ فالمراد بالثلاثين أي: يظهر لهم صوت وصيت عند الناس ويوجد لهم أتباع، أما الذي كثير ممن يعطب عقله بالخمور والمخدرات والهوس وكذا يقول: أنا نبي، أنا كذا، أنا كذا، فهذا كثير جدًا، كثير حتى في زماننا هذا، مثل يعني يتعاطى المخدرات ويصبح مختل عقله، وإذا قال لأي إنسان في الشارع: أن النبي؛ يعرفون أنه فاقد عقله مختل، فلا يدخل في العدد المراد في الحديث. الثلاثون يعني ثلاثون يصبح لهم صيت ولهم أتباع ولهم وجود وانتشار.

(وكَانَ بعْثَتُهُ لِلْخَلْقِ قَاطِبَةً): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سورة سبأ، من الآية:٢٨]؛ بُعث للعالمين أي: للخلق كافة. (وكَانَ بعْثَتُهُ لِلْخَلْقِ قَاطِبَةً)؛ ليس للعرب بل للعالمين. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(**وَشَرْعُهُ شَامِلٌ لَمْ يَعْدُهُ أَحَدُ**): شريعته للخلق كافة، وشريعته للحق شاملة، شملت الحق كله، ما ترك خيرًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبابًا للسعادة في الدنيا والآخرة إلا بيـَّنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتم البيان. فشريعته شاملة لكل خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

(**وَلَمْ يَسعْ أَحَدًا عَنْها الخروْجُ**): أي: لا يسع أحد الخروج عن شريعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(ولو**كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا**): في هذا يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»، فلا يسع أحد الخروج عن ما جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولو كانوا النبيون، (**وَلَوْ كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا**): أي: لم يحيدوا عنها، ولهذا فإن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان لا يحكم بالإنجيل وإنما يحكم بالقرآن الكريم.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا رسول الله.